قراءة في مفهوم القارئ من النقد البنيوي إلى النقد التفاعلي

Reading the Concept of the Reader: From Systematic Criticism to Interactive Criticism

* د. آسيا قادري
Assia Kadri
مخبر مناهج النقد المعاصر وتحليل الخطاب.
جامعة المجاهد عبد الحفيظ بوالصوف ميلة (الجزائر)
University El Moudjahid Abdelhafid Boussouf Mila (Algeria)
kadri.a@centre-univ-mila.dz

تاريخ الإرسال: 2026/03/15	تاريخ القبول: 2026/06/08	تاريخ النشر: 2026/09/02

ملخص البحث

ينطلق هذا البحث نحو رؤية نقدية تتيح له التحري عن مفهوم القارئ عبر مسار من تحولات مفاهيمه وإبدالها المعرفي؛ إذ أضحى مفهوم القارئ مفهوما نقديا مختلفا مع نقد ما بعد حداثي، بعدما ألغي وأبعد القارئ من مثلث الإبداع في النقد البنيوي، ليعود أكثر حضورا وتوهجا في النقد التفاعلي؛ فمن السياق النصي اللغوي الذي تحَدَّد ضمن النقد الحداثي، إلى السياق التفاعلي بالعوامل الخارجية التكنولوجية، وبين الداخل نصي والخارج نصي يصاغ مفهوم القارئ ضمن النقد التفاعلي، أكثر تطورا، وأكثر تعالقا بالأدب الرقمي؛ إذ أصبح القارئ يساوي المبدع في مشاركته للإنتاج النص الرقمي؛ فهو من يكمل النص الإبداعي بتفاعله بوساطة شبكة التواصل، ووسائط تكنولوجية أخرى تضمن له الحق في الإضافة والتعديل، مثلما له الحق في مشاركة النص نحو توجه تكنولوجي أكثر فاعلية.

ولعل السؤال الذي يؤسس لإشكالية البحث، هو: إذا كان النقد ما بعد حداثي في بداية مرحلته المعرفية فعّل من دور القارئ في العملية النقدية، وأعطى له سلطة الحضور، فماهي إضافة النقد التفاعلي إلى هذا المفهوم؟، وما هي خصائص القارئ التي يتميز بها في النقد التفاعلي؟

الكلمات المفتاح: قارئ، نقد تفاعلي، رقمي، قراءة، تكنولوجي.

Abstract :

This research sets out to explore a critical perspective that allows it to examine the concept of the reader through a series of conceptual shifts. The concept of the reader has become a different critical concept with postmodern criticism, after being eliminated and removed from modern criticism, only to return with greater presence and intensity

* آسيا قادري: kadri.a@centre-univ-mila.dz

in interactive criticism. From the linguistic textual context defined within structural criticism to the interactive context with external technological factors, and between the textual interior, and the textual exterior, the concept of the reader is formulated within interactive criticism, which is more developed and more closely related to digital literature. Thus, the reader has become equal to the creator in his participation in the production of the digital text. It is the reader who completes the text through interaction through social media and other technological means that guarantee for him/her the right to add to the text, just like the right to share the text in a more effective technological tendency.

Perhaps the question that forms the basis of the research problematic is: if postmodern criticism, at the beginning of its cognitive phase, activated the role of the reader in the critical process, and gave him/her the presence power, what does interactive criticism add to this concept? What are the characteristics of the reader that distinguish him/her in interactive criticism?

Keywords: reader, interactive criticism, digital, reading, technological.

مقدمة:

تتسم طبيعة المعرفة النقدية _وعبر مسار تاريخها الطويل_ بالحراك الفكري، والتبدل المعرفي، وتتجاوز كل ما يعيق فهمها للعالم، وللإنسان، وللنص؛ فهي معرفة متغيرة تأبى الجمود والانكفاء على الذات في صيرورة دائمة؛ تبدل مفاهيمها في كل حين بوعي معرفي يجدد من رؤيتها للعالم لتعيد صياغة علاقتنا به، وتطور في مناهجها لقراءة النصوص على نحو مختلف، وترفض الوقوف عند مرحلة نقدية معرفية معينة تتحرك باستمرار نحو آفاق أرحب وأوسع، لإنجاز خطاب نقدي معرفي قادر على تصحيح ذاته باستمرار وبالمساءلة، والمراجعة اللتان تؤديان به إلى تبدل مقولاته وفق حاجات إنسانية تساير بها مآزق النقد نحو التجاوز والخروج به من مرحلة الإحراج المعرفي إلى مرحلة الانفتاح، وهو حل يرقى به إلى تبدل مفاهيمه ومصطلحاته من مرحلة إلى أخرى، وهذا سبيل يتيح للمعرفة النقدية التقدم نحو اكتشاف آليات جديد تتوسط بها لفهم النصوص الإبداعية في اختلافها، وبالتالي التواصل _على أفضل صورة_ بالعالم والإنسان وهو غايتها، التي تجري إليها.

إن هذا النوع من التفكير الإنساني الذي لا يفهم من إبداله المعرفي على أنه قطع صلة بالمعرفة السابقة لتأسيس معرفة نقدية جديدة لا علاقة لها بالمعرفة التي سبقتها، بل كل معرفة نقدية جديدة تخرج من عباءة المعرفة التي سبقتها تصحيحا لمآزقها وتجاوزا لضيق معرفي في مفاهيمها، وبناء على ذلك، وتمثيلا لهذا الإبدال المعرفي في الخطاب النقدي يأتي

مفهوم القارئ على طليعة تلك المصطلحات التي لم تستقر على مفهوم واحد، بل اتخذت من التغير منهجا له واتساعا لأفق معرفي متحول.

إن التحري عن مفهوم متبدل ينتفض على ذاته باستمرار وفق رؤية نقدية مختلفة، تعيد صياغته عن سابقه يستدعي من البحث أن يلتفت إليه من منظور حواري جدلي، يثير المفهوم وفق رؤى نقدية تحدده وتشير إليه ضمن مساق تاريخي نقدي، فالقارئ كان حاضرا عبر هذا المسار النقدي الطويل، فكيف تغير هذا المفهوم من النقد البنيوي إلى النقد التفاعلي؟، وكيف تم إقصاء مفهوم لبناء مفهوم آخر في الخطاب النقدي؟

أولا، القارئ في النقد البنيوي:

اتخذ مفهوم القارئ _قبل مجيء النقد البنيوي_ مكانا محددا سلفا، بحدود نفسية وتاريخية واجتماعية.... فحسبه من قراءة النص أن يحدد أسباب وجوده انطلاقا من ظروف خارجية بعيدا عن أساسه الإبداعي وهو اللغة، لذا فالقارئ في هذه المرحلة يجري إلى قراءة النص خارج النص، يقرأ كل شيء عنه إلا النص؛ فهو قارئ اجتزاري يجتر ما قيل خارج النص عن النص لإعادة استهلاك الظروف التي قيل فيها، لذا كان مفهوم القارئ مفهوما محدودا بحدود وظيفته التي تقف عند حدود بعيد عن اللغة الإبداعية.

فكانت قراءته سياقية تبعده عنه لتحيد به عن وظيفته الأساسية وهي القراءة، فلم يبق في مفهوم القارئ هنا سوى أن لديه نية الوصول إلى النص، دون أن يصل إلى دلالاته ((أما النظرة التي قالت بالقارئ، فهي لا تقصد المفهوم الذي شاع فيما بعد مع أنصار نظرية التلقي أو التفكيكية، وإنما يعني الجمهور الذي يتلقى الإبداع في حضور صاحبه، أي يسعى للبحث عن القصد الذي يريده الأديب، وكان في أحسن الأحوال يبحث وراء ما توحي به الألفاظ ليلتمس الدلالات الإيحائية المتعددة التي يعبر عنها صاحب الإبداع.)) (بارة ، 2005، صفحة 66)، لذا فالنص هنا يتحقق من خلال قارئ موجه سلفا وفق رؤية نفسية اجتماعية وسياسية...تحثه على اتباع سياقات النص الخارجية بعيدا عن البنى اللغوية، والأكيد هنا ((أن المؤلف هو الذي أبدع النص وإليه يعزى فضله، وما الإبداع إلا جزء من شخصيته، وليس على القارئ إلا البحث عن مراده وقصده إلى القبض على دلالة النص)) (بارة ، 2005، صفحة 66)، التي تظهر في معانيها فجوة بين ما يريد النص قوله من خلال لغته الإبداعية، وما فرض عليه من دلالات ليست من جنسه.

بهذا التوجه يدخل الخطاب النقدي إلى مرحلة التأزم المعرفي؛ المرحلة التي ألغيت فيها أدبية النص، ونُسي أنه لغة تحتاج إلى من يقرأها ليتواصل بوساطتها إلى التجربة الإنسانية المحتوات خلف اللغة الإبداعية، فأصبح القارئ يحوم حول النص دون أن يصل إليه، وأمام هذا التعطيل ينتفض النقد على ذاته وفاء لمنهجه من إبدال معرفي وتصحيحا لمفاهيمه وتجاوزا لمرحلة انحسار دور القارئ، ليعلن عن بدايات جديدة تبدل مفهومه وفق معرفة نقدية بنيوية حداثية. فما هو مفهوم القارئ في النقد البنيوي؟ وهل حقق ذلك المسعى؟ وهل كان مفهوم القارئ في مستوى الثورة النقدية التي حققتها البنيوية؟

تلتفت البنيوية _الممثل الحقيقي للحداثة النقدية_ إلى بنية النص بما هو لغة والاكتفاء بها و((ليس اللغة كأداة للتواصل والتعبير، بل هي هنا غاية في حد ذاتها، لا تحيلك إلا على معجمها الداخلي كنظام من العلامات تنتج الدلالة من خلال العلاقات القائمة فيما بينها.)) (بارة ، 2005، صفحة 96)، وأساسها في ذلك هو انفتاح النقد على ما جاء به

فرديناند دي سوسير/ Ferdinand de Saussure (1857،1913) من ثنائيات لسانية، المتمثل في: اللغة/ الكلام الدال/ والمدلول، والدراسة التاريخية/ والدراسة الآنية، وهذا الفتح اللساني كان منعرجا حاسما في تحول النقد من النقد السياقي/تقليدي إلى نقد نسقي/ بنيوي.

ووفق هذا التحول في الدراسة النقدية، ورؤيتها للنص الأدبي تَعزلُ البنيوية النص عن السياقات الخارجية التي ألغته سابقا وحولته إلى وثيقة تشهد على تفوقها، فتبعد المؤلف موتا وإعلاء للغة النص، وعلى قول جاك دريدا/ Jacques Derrida(1930، 2004) رائد التفكيك "فلا شيء خارج النص" من منظور البنيوية، ((هكذا لم تصبح اللغة شيأ ثانويا، يأتي لتمثيل الأشياء والتعبير عنها، بل هي بيت الوجود الذي يولد فيه الإنسان، لها قوانينها الداخلية التي تجعلها متفردة عن الأشياء لتخرج منها وكأنها ولدت لتوها، ولعل هذا ما جعل سوسير يقول إن المدلول صورة ذهنية، أي ليس شيأ واقعيا يمكن ملامسته أو أن يمثل الدال)) (بارة ، 2005، صفحة 69)، ولعل في اكتفاء النقد الحداثي بالنص بما هو لغة وإبعاد مؤلفه هو تحقيق لقراءة موضوعية أساسها اللغة والبحث في أدبيته، مما جعل النقد الحداثي يخطو خطوة تاريخية نحو استقلال الدراسات الأدبية عن باقي الدراسات الأخرى التي كان يُدرس ضمنها، لكن يبقى المطب الذي وقعت فيه البنيوية أنها نسيت أن النص الأدبي هو تجربة إنسانية باللغة وداخل اللغة وتاريخية أيضا، تحتاج إلى ذات قارئة تتفاعل معه لبناء دلالات النص.

إن مفهوم القارئ لدى النقد البنيوي هو مفهوم سلبي؛ فحسب القارئ أمام كل المفاهيم الجديدة التي أتى بها النقد البنيوي، أن يأتي إلى النص ليشهد على كمال نظامه اللغوي ويصفه وصفا من حيث لغته وعلاقة الجزء بالكل، لا من حيث التفاعل معه، ((فالبنيوية كمشروع نقدي، هي دعوة إلى البحث عن الحقيقة/ المعنى داخل اللغة، وليس خارجها مثلما كان سائدا في الاتجاهات السائدة (الاجتماعي التاريخي النفسي)، وما على الذات/ الناقد إلا أن يخضع لأنساق اللغة وأنظمتها للوصول إلى الحقيقة/ المعنى، وليس من حقها أن تضيف شيئا من عنديانها.)) (بارة ، 2005، صفحة 45)

فالقارئ هنا يخضع لبنية لسانية مغلقة تشير إلى ذاتها، وما خضوعه لنظام النص سوى إلغاء لحضوره في عملية القراءة؛ لأن دور القارئ متعلق بنسق مغلق على ذاته، مكتفي بلغته لا يعترف بأي مصدر لدلالة خارجة عنه، فإذا كانت البنيوية فعلا أعادت الاعتبار للنص بعد ما أهمل وانتقلت به إلى الدراسة العلمية المنظمة الموضوعية، إلا أنها أسست لقراءة وصفية آلية تقوم على استخراج القوانين الداخلية للنص، يغيب فيها القارئ لصالحها، ويتحول دوره إلى وظيفية لسانية، وفي غيابه يسقط الخطاب النقدي في أزمة تغيب الذات الفاعلية في النص والصرامة المنهجية التي سلخت النص من أصوله المرجعية التاريخية والاجتماعية..، وأعاقت عملية تطور الأدب بقطع صلته بالعالم والإنسان.

وبالتالي فالبنيوية بهذا المعنى أدخلت الخطاب النقدي في أزمة معرفية تعطل فيها عنصر مهم من عناصر الإبداع وهو القارئ؛ بحيث قتلت الجانب الإنساني في النص واكتفت بكل ما هو وصفي تجريدي، وبذلك صارت الأزمة المعرفية تمهد لوجود حركة نقدية جديدة تسعى إلى قلب مفهوم القارئ إلى قارئ فاعل في النص، ومشارك في بناء دلالاته، فكيف أزيح هذا المفهوم بديلا لآخر؟ وكيف انتقل من مفهوم لساني وصفي، إلى مفهوم فاعل في النص؟

ثانيا، نظرية التلقي ومفهوم القارئ الضمني:

مثلت نظرية التلقي مرحلة معرفة نقدية فارقة في خصوصية الخطاب النقدي، إذ التفتت إلى القارئ وجعلته فاعلا في النص ومتفاعلا به، وانتقلت به إلى أفق معرفي أوسع من مجرد شاهد على الكمال النصي إلى مشارك في إنتاجه وما كان لها أن تبلغ مرحلة دور القارئ المؤثر في النص والمتأثر به، لولا طبيعة المعرفة النقدية التي تنتهج سياسة مساءلة الخطاب النقدي ومراجعته بتصحيح مفاهيمه، لتنتفض على كل أزمة تعيق مسار تطورها وتحولها إلى تحفيزات للمراجعة وتبدل المفاهيم، فالخطاب النقدي هو خطاب تاريخي يعيد بناء مفاهيمه باستمرارية يتجاوز بها أزماته.

فكانت نظرية التلقي هنا البديل المنهجي للبنيوية حيث صححت من مفهوم القارئ، ومنحت له أهمية دون إهمال النص، وانتقلت به من مجرد منفعل به إلى مشارك فاعل فيه، ولعل في تأكيد البحث على الإبدال المعرفي ما هو إلا برهان على أن سياق التأزم هو سياق انبعاث مفهوم القارئ وهو سياق انتعاشه من مرحلة لسانية وصفية إلى مرحلة يكون فاعلا يؤثر ويتأثر بالنص.

إن النص الإبداعي من وجهة نظر نظرية التلقي ما هو إلا بنية لغوية افتراضية تتطلب قارئا يكشف معناها، ويخرجها من الوجود بالقوة إلى الوجود التاريخي؛ فالقارئ هو الذي يخرج معنى النص ويتممه، وهذا الدور الذي أوكل للقارئ ما هو إلا إعادة ترهين النص ضمن علاقة جدلية تفاعلية قوامها النص والقارئ تحقيقا لدلالة ما، وبالتالي فالنص ليس معطى جاهزا بل هو بناء يكتشفه القارئ في علاقة تفاعلية، ولعل السؤال الذي يمكن أن يحظى بأهمية هنا هو: كيف يتم للقارئ بناء علاقته بالنص؟ أو كيف تحدث هذه العلاقة الجدلية بينهما؟ وإذا كان القارئ له دور التفعيل فما هو دور النّص في بناء المعنى، وهو غاية كل قراءة؟

إن جدية طرح مفهوم القارئ لدى نظرية التلقي تجعل من النص لا وجود له إلا إذا قرأ، وهو شرط إلزامي لتحقيق الوجود التاريخي للنص، الذي لا يتحقق له إلا إذا وجد من يقرأه ويتفاعل معه، ((وعلى هذا الأساس كانت نظرية التأثير تهتم بسيرورة التفاعل القائم بين النص والقارئ من جهة وتركز من الجهة الأخرى على التمييز بين ما يعود إلى النص في هذه العملية وما يعود إلى أفعال التحقق والتجسيد التي يمارسها القارئ.)) (شرفي، 2007، صفحة 181) لتعيد بناء تصور جديد لمفهوم العملية الإبداعية ومفهوم القارئ معا وعلاقته بالنص التي تقوم على عملية التفاعل الحاصل بين القارئ والنص.

من أجل ذلك تتأسس القراءة على وجود طرفين (النص والقارئ) وتتحقق ضمن علاقة جدليّة تواصليّة تفاعليّة ديناميّة، تمو بين النص، والقارئ في حوارية متنامية ((تسمى استجابة جمالية؛ لأنها تثير قوى التخيّل والإدراك لدى القارئ مع أنها تنبع من النّص)) (فولفجانج، 2000، صفحة 3) .الذي لا يحقق دلالته إلّا بمشاركة قارئ يولد معانيه في علاقته بالعالم، انطلاق من استراتيجيّات نصيّة strategies textual يقترحها النص على القارئ، وتمثل وظيفتها في مساندة وتوجيه القارئ في عملية التحقق الممكنة، أي في فهم النص وتأويله، بناء على ما تتيحه من فرص التعرف على ممكنات النّص الدلاليّة التي تتخلق ضمن السجل النصيّ Textual Register، وهو الأفق المرجعي الذي يحيل عليه النص أثناء القراءة، أو هو((المنطقة التي يلتقي فيها النص، والقارئ من أجل الشروع في التواصل)) (هولب ، 2000، صفحة 17)، تفاعلا ومشاركة في إنتاج الدلالة.

وبناء على ذلك فإن التسليم بأن للنص الأدبي مرجعيّة، لا يعني أن النص هو انعكاس للواقع، أو ((وثيقة تسجل شيئا له وجود فعلي، بل بوصفه إعادة صياغة واقع مصوغ بالفعل، مما يؤدي إلى ابتكار شيء لم يكن موجودا من قبل)) (فولفجانج، 2000، صفحة 4)؛ ذلك بإعادة امتصاص الواقع لغة، وتخيّلا، يُبلغ بها النص قارئه عن رد فعل، وموقفه من الواقع الخارجي، أو بالأحرى يوفر النص للقارئ شروطا ضرورية تسمح له ببناء رد الفعل هذا باعتباره المعنى الذي يقصده النص (شرفي، 2007، صفحة 192).

وترجع عملية التفاعل هذه إلى ((كون النص الأدبي يحتوي مرجعيات خاصة به، ويسهم المتلقي في بناء هذه المرجعية عبر تمثله للمعنى، إن هذه المرجعيات ليست ذات منحى تاريخي أو واقعي، إنّما هي مرجعيات يخلقها النص)) (عبد الناصر ، 2002، صفحة 42،41)، ويتكفل القارئ بتأويلها وفق مصاحبة النص، ومعاشرته على نحو من الإنصات لتوجيه استراتيجياته النصيّة في بناء المعنى؛ ((فلكي يتمكن النص من توجيه القارئ أثناء بنائه لرد فعل هذا النص على واقعه الخاص، فعليه أولا أن يمنحه "الوضعية السياقية" التي تسمح له باستيعاب الواقع الخارجي الذي يتموقف النّص منه، ويتحقق له ذلك بوساطة "السجل النصيّ". وعليه بعد ذلك أن يخطط "لاستراتيجية" معيّنة توجه القارئ أثناء بنائه للمعنى النصيّ باعتباره فهما لموقف النص من محيطه الخارجي.)) (شرفي، 2007، صفحة 193)، وبناء على ذلك فإن للقارئ دورا حاسما في انجاز المعنى بمعيّة النص.

إن القراءة التي يتم تفعيلها من قبل القارئ أثناء لقائه بالنص لهي -مثلما يقول امبرتو ايكو Umberto Eco- 1932،2016((التفعيل الدلالي لكل ما يود النص، من حيث كونه استراتيجية أن يقوله عبر تعاضد قارئه النموذجيّ)) (إيكو، 1996، صفحة 37) ليساهم في تشييد المعني، وإن كان تشييده لا يتم إلا بتفعيله للنص في ضوء بنيّة نصيّة تحفيزيّة، إلا أن العلاقة التفاعليّة التي تتنامي بينها(النص، والقارئ) في ظل حوار متبادل (القارئ بموسوعته، والنص وما يفتح من مرجعيات، وإمكانات دلالية)، هي التي تحدث توترا يولد المعنى عبر سيرورة القراءة، والتأويل؛ لأن المعنى((ناتج عن التفاعل الحاصل بين العلاقات النصيّة وفعل الفهم عند القارئ؛ ولذلك فإن المعنى لم يعد موضوعا يستوجب التعريف به، وإنّما أثرا يعاش)) (ناظم، 1997، صفحة 151).

أي على سبيل أن المعنى تجربة قرائية معيشة، على نحو من المصاحبة، والمساءلة، والاستنطاق، وليس على سبيل تحديده، والتقييد به (عمراني، 2011، صفحة 24)بيقين موضوعي.

وبناء على ذلك فإن مفهوم القارئ لدى نظرية التلقي هو مفهوم إجرائي نابع من النص إلا أنه لا يفهم من ذلك على أنه خاضع لبنية النص وإنما دلالات النص تبني بمشارك القارئ؛ فالقارئ هو ((بنية نصية تتوقع وجود متلق دون أن تحدده بالضرورة، (...)، لذا فالقارئ الضمني شبكة من البنى المثيرة للاستجابة مما يدفع القارئ لفهم النص)) (فولفجانج، 2000، صفحة 40)، انطلاقا منه، فحدث القراءة هو عملية إنتاجية بين القارئ والنص في علاقة تفاعلية متجددة.

ثالثا، القارئ في النقد التفاعلي:

تحريا عن مفهوم القارئ من وجهة نظر النقد التفاعلي وجب بداية التسليم بأن هذا النوع من الخطاب النقدي ولد مع ظهور أدب جديد منفتح على واقع تكنولوجي معلوماتي سريع التغير والتطور، وهو الأدب الرقمي التفاعلي، هذا من جهة، ومن جهة ثانية الإقرار بأنه نقد يتفق في كثير من مفاهيمه مع بعض النظريات النقدية المعاصرة، ((ولعل تلك

النظريات اتساقا مع تطبيقات الأدب التفاعلي هي نظريات القراءة والتلقي ونقد استجابة القارئ)) (البريكي، 2006، صفحة 144)، وبالتالي فالنقد التفاعلي ما هو إلا امتداد تاريخي للمعرفة النقدية السابقة تطورا وانفتاحا على عالم التكنلوجيا ولعل سؤال البحث هنا لا يحيد عن هدفه، وهو تحديد مفهوم القارئ لدى النقد التفاعلي: فما هو مفهوم قارئ النص التفاعلي الرقمي؟ وكيف تحدث التفاعلية بين قارئ مادي ونص رقمي متحرك؟ وماهي خصوصية ومميزات القارئ التفاعلي؟

يتحدد مفهوم القارئ التفاعلي بناء على طبيعة تشكيل الأدب الرقمي ومستويات بنيته الإبداعية التي تعتمد على معطيات برمجية حاسوبية شديدة الدقة، فهو ((الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء.)) (البريكي، 2006، صفحة 49) بمعنى خصوصية هذا الأدب تختلف عن الأدب الورقي باختلاف الوسيط وهو الحاسوب والوسائط الالكترونية المبرمجة لمنجز النص، وبالتالي يختلف متلقي هذا النوع من الأدب باختلاف عوالمه التي تبني صورة وشكلا وصوتا وحركة...وفق معطيات تكنولوجيات تعمل لحضور المؤثر.

ولعل هذا ما يفسر الغاية التي تجري إلى تحقيقها الكتابة الإبداعية الرقمية التي تفرض وجودا مختلفا من التواصل بناء على اختلاف النص الرقمي المنجز؛ فالقارئ الذي ينوي النص التواصل معه هو قارئ متحكم في الوسائل التكنولوجية ولا يستكمل النص الرقمي ذاتيته الإبداعية إلا مع قارئ متفاعل، يتواصل معه في بنيته التكنولوجية المختلفة عن النص المكتوب على الورق؛ فهذه العلاقة التفاعلية لا تتطلب المعرفة اللغوية والثقافية فحسب، وإنما التحكم التكنولوجي في الحاسوب فهو الكفاءة الأولى التي يجب أن يحسنها القارئ إلى جانب كفاءة القراءة والكتابة، حتى ينصهر في طبقات النص الرقمي المختلفة بالاختلاف أجزائه و مكوناته، ((.. ولا يكون هذا الأدب تفاعليا الا إذا اعطى المتلقي مساحة تعادل، أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص)) (البريكي، 2006، صفحة 49) ، ومن هنا فإن القارئ يساهم في إنجاز النص من المساحة الإلكترونية التي تمنح له وإلا فالنص لا يعد إلا صور وأشكال لا حياة فيها.

والنص الرقمي التفاعلي ينهض على أساس التفاعل أو القراءة التفاعلية وهو ما أقرته نظرية التلقي بأن النص موات حتى يأتي القارئ ويبث فيه الحياة، بالقراءة يلتقي النص بقارئه يشارك في بناء معناه ويتواصل معه على نحو مختلف لم نعهده في دراسات النص سابقا،((إن التفاعل بين النص والمتلقي مرتب ارتباطا مباشرا بفكرة مشاركة المتلقي في إنتاج النص، التي نادت بها نظرية التلقي) (البريكي، 2006، صفحة 150) ولا يفهم بأن القارئ هو قارئ افتراضي ضمني مثلما حددته نظرية التلقي فحسب، وإنما هو قارئ مادي متفاعل ومؤثر، يتجاوز حدود تقبيله لنص والاندماج في استراتيجياته إلى المشاركة في بنائه والتفاعل معه على نحو ما يمكنه من حذف وتعديل النص، ويضيف إليه، ويغير من مجرى أحداث النص ...وغيرها من متغيرات متاحة للمتلقي عبر روابط إلكترونية مفعلة، وضعها مبدع النص حتى يتجاوز بها القراءة الخطية المعتادة في النصوص الورقية إلى قراءة شبكية متشظية فاعلة في المتلقي، ليدخل القارئ ضمن عملية إبداعية مغايرة كعنصر حيوي فاعلا ومشاركا في تشكيل النص.

هكذا وبفعل انفتاح الأدب على التكنولوجيا الحديثة تغيرت القراءة الإبداعية وطريقة انتاج النص الأدبي، ومعها تغير أيضا مفهوم القارئ، ليصبح طرفا فاعلا في العملية القرائية ورائدا؛ فالنص الأدبي الرقمي هو مختلف في تشكيله وفي مكوناته، مختلف في تلقيه أيضا ل((يمنح الأدب التفاعلي المتلقي فرصة الإحساس بأنه مالك لكل ما يقدم على الشبكة

فيعلي من شأنه كما يمنحه فرصة الحوار الحي والمباشر من خلال المواقع ذاتها التي تقدم النص التفاعلي مهما كان نوعه وجنسه)) (إياد إبراهيم، 2011، صفحة 25)، وبتالي فمتلقي النص الرقمي هو محو الريادة في العملية التواصل الإبداعية فإذا كانت نظرية التلقي منحت للمتلقي صفة التفاعل فإن النقد التفاعلي منحه صفة التفاعل مع النص مع انتاجه بمعية مبدع النص.

إن للقارئ وظيفة حيوية إجرائية وعملية فاعلة ومحرك في القراءة التفاعلية، ((ولا شك في أن من يملك شروط الحقيقة المشهدية هو القارئ الوحيد القادر على تأويل المشهد أو قراءة نص الواقع الافتراضي وفهمه وتفسيره والقبض على دلالاته ومعانيه)) (عمر زرفاوي، 2013، صفحة 152) ومن خاصية التفاعل والمشاركة والإنتاج ما يؤكد على جملة من المميزات التي تخص القارئ الرقمي التفاعلي:

1/ حرية الاختيار:

يدرك القارئ التفاعلي إنه يتعامل مع نص استثنائي في مكوناته، لذا فهو يدخل ويخرج من أي منفذ بالنقر وبالتالي يحدد البداية والنهاية كيف ما يشاء، ويعيد صياغة مسارات النص وفق ما يتيح له من روابط وفواعل الكترونية تمكنه من جعل النص يتحرك ويتفاعل.

2/ القراءة المتشظية:

إن القارئ التفاعلي يعي بأنه يتعامل مع نص فسيفسائي في بنيته، ومكوناته من صور متحركة الى أشكال مختلفة ومتعددة وصول إلى عناصر سمعية وبصرية متاحة للقارئ بصيغ مختلفة.... وبروابط متشعبة، هذا ما يجعل مسار قراءته مسار متفرعة بتفرع مكونات النص الرقمي التفاعلي.

3/ سرعة الوصول إلى النص:

إن القارئ التفاعلي سريع في التقاطه للنص الرقمي والوصول إليه، بنقرة واحدة يكون متاحه للقراءة، والتفاعل معه بكل وسائط وروابط النص، وكل هذا قد لا يأخذ سوى دقائق معدودة.

4/ الوسائط:

تتعدد وسائط انجاز النص الرقمي من صورة مكتوبة: الكتابة السردية والشعرية...، إلى صور سمعية وبصرية مثل: الفيديوهات، والموسيقى.... لذا فالقارئ التفاعلي يكون حاملا لهذا المعرفة الالكترونية ومتحكما في الوسائط بتعددها واختلافها.

وهذه بعض الخصائص التي يتميز بها القارئ الرقمي التفاعلي، وهي مثلما نلاحظ متولدة من طبيعة النص الرقمي ومميزاته عن النص الورقي.

خاتمة:

أما بعد:

إن النتيجة التي يمكن أن يطرحها البحث في هذا المقام بعد الوقوف عند مفهوم القارئ في الخطاب النقدي عبر مسار من التحولات باختلاف أزمنته النقدية، هو أنه مفهوم حيوي متغير ومتطور، يخضع لمتغيرات تاريخية نابعة من رؤى فكرية نقدية تتجاوز بتجديده كل أزمنة التعطيل المعرفي لتصحح المفهوم حسب حاجة الخطاب النقدي إلى آفاق

معرفية أوسع، بالتالي فمفهوم القارئ كائن لغوي سلبي في الخطاب النقدي البنيوي، إلى قارئ فاعل مع نظرية التلقي، وصولا به إلى قارئ متفاعل يشارك في انجاز النص في النقد التفاعلي.

وهذا مسار تاريخي طويل وثقيل لمفهوم حيوي لا يستقر على حال واحد ولا يلبث إلا ويبث في مفهومه رؤى متغيرة والأكيد أنها رؤى نابعة من مفهوم النص، ومفهوم القراءة التي تمنحه وظيفة لسانية إلى دور عملي إجرائي مع النقد التفاعلي ليعاد بذلك تفعيل هذا المفهوم على النحو منحه دورا مهما مقارنه بباقي عناصر العملية الإبداعية.

قائمة المراجع:

المصطفى عمراني. (2011). مناهج الدراسات السردية وإشكالية التلقي (روايات غسان كنفاني نموذجا) (الإصدار ط1). الأردن: عالم الكتب الحديث.

أمبرتو إيكو. (1996). القارئ في الحكاية (التعاضد التأويلي للنصوص الحكائية) (الإصدار ط1). (أنطوان أبو زيد، المترجمون) المغرب: المركز الثقافي العربي.

إياد إبراهيم. (2011). الأدب التفاعلي الرقمي الولادة وتغير الوسيط. بغداد: دار الكتب الوثائقية ببغداد.

إيسر فولفجانج. (2000). فعل القراءة نظرية في الاستجابة الجمالية (الإصدار دط). (عبد الوهاب علوب، المترجمون) المجلس الأعلى للثقافة.

حسن محمد عبد الناصر . (2002). نظرية التلقي بين ياوس وإيزر (الإصدار دط). مصر: دار النهضة العربية.

روبارت هولب . (2000). نظرية التلقي مقدمة نقدية (الإصدار ط1). (عز الدين إسماعيل، المترجمون) القاهرة: المكتبة الأكاديمية.

عبد الغني بارة . (2005). إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر (مقاربة حوارية في الأصول المعرفية). مصر: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد الكريم شرفي. (2007). من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة (دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة) (الإصدار ط1). الجزائر: منشورات الاختلاف.

عمر زرفاوي. (2013). الكتابة الزرقاء. الشارقة: دار الثقافة والإعلام.

عودة خضر ناظم. (1997). الأصول المعرفية لنظرية التلقي (الإصدار ط1). عمان الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

فاطمة البريكي. (2006). مدخل إلى الأدب التفاعلي (الإصدار ط1). الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.